لِماذا قَرّرَت السعوديّة تَحَدّي الرئيس ترامب وتَخفيض إنتاج مُنظّمَة "أوبِك" وتَكريس التّحالُف مع روسيا؟

وما هِي الأسباب الثّلاثَة التي دَفَعَت الأمير بن سلمان الإقدام على هَذهِ "المُقامَرة"؟ وهَل يُوَفّر الرئيس بوتين مِظَلّة الحِمايَة لَهُ مِن تَبِعات جريمة اغتِيال خاشقجي؟

عبد الباري عطوان

تَوصّلُ الدول المُنتِجة للنفط داخِل منظمة "أوبِك" وخارِجها إلى اتّفاقٍ يوم الجُمعة الماضِي في اللّحظة الأخيرة، لتَخفيضِ الإنتاج بحَواليّ 1.2 مِليون بِرميل يَوميًّا لوَقفِ انهِيار الأسعار، وعَودَتِها إلى الارتِفاع مُجَدّدًا، خُطوة على دَرجةٍ كَبيرةٍ مِن الأهميّة مِن النّاحية الاقتصاديّة، لكن الأهَم في نظرِنا أنّ تَحالُفًا سُعودِيًّا روسيًّا برَز بقُوّة، يُشَكّل تَحَدّيًا للرئيس الأمريكيّ دونالد ترامب الذي طالَب قبل يومين مِن هذا الاجتِماع بعَدم تخفيض الإنتاج.

إنّها صَفْعةٌ قَويّةٌ للرئيس ترامب تُضاف إلى صَفعاتٍ أُخرَى انهالَت عليه، سواء مِن الكُونغرس الذي اتّهمه علنًا بالتّهاون في مَسألة اغتِيال الصّحافي السعودي جمال خاشقجي ومُحاولَة توفير الحِماية للأمير محمد بن سلمان، أو الصّفْعة الأُخرَى الناجِمَة عن فَشَلِ مَشروع قرار تقدّمت بِه "خَليفَته المُحتَملة" نيكي هايلي إلى الجمعيّة العامّة للأُمم المتحدة بإدانَة هَجَمات "حماس" الصّاروخيّة على إسرائيل.

أسعار النّفط ارتَفَعت 5 بالمِئة فوْر الإعلان عَن هَذهِ الصّفَقة، والتِزام دول "أوبِك" بتَخفيضِ إنتاجِها بحَواليّ 800 ألف بِرميل، وروسيا التي تتَزعّم 10 دول خارِجها بـ 400 ألف بِرميل يَوميًّا، ومِن المُتوقّع أن يعود سِعر البِرميل إلى 86 دُولارًا، مِثْلَما كانَ عليه في تشرين أوّل (أكتوبر) الماضي، خاصّةً إذا أوْفَت السعوديّة بِوَعدِها وخَفّضت إنتاجَها مِن 11.1 مِليون يَوميًّا حاليًّا إلى 10.3 بِرميل في شَهر كانون الثّاني (يناير) المُقبِل.

***

لا نَعرِف كيف سَيكون ردّة فِعل الرئيس الأمريكيّ دونالد ترامب على هَذهِ المَواقِف السعوديّة المُتحدّية له، وهذا التّحالُف السعوديّ الروسيّ الذي رُبّما لا يَظَل مَحصورًا داخِل منظمة "أوبِك"، ورُبّما يمتَد إلى قضايا أُخرَى، ونَحنُ في انتِظارِ تَغريدةٍ جَديدةٍ "غاضِبَةٍ" للرئيس ترامب تَرُدْ على هَذهِ الصّفعة بطَريقةٍ أو بأُخْرَى.

هَذهِ هِي المَرّة الأولى، على حِد عِلمنا، التي يَخْرُج فيها السيد خالد الفالح، وزير النفط السعوديّ، عَن المألوف ويقول في تَصريحاتٍ صحافيّةٍ علنيّةٍ "أمريكا ليسَت في موقع أن تفرض على أوبِك ما يَجِب عليها أن تفعل.. لا أحتاج إلى إذْنٍ مِن أحَد لكي أُخَفّض الإنتاج"، فقَد جرَت العادة أن تُذعِن السعوديّة لمَطالِب أمريكا دُونَ أيّ تَرَدّد، ووصلَت الغَطرسة الأمريكيّة في الأعوامِ الماضِية إلى درجة إيفاد مبعوث إلى مكان اجتماعات "أوبِك" لمُراقَبة المُداولات داخِلها، وإملاء مَطالِبه على الوزير السعوديّ الذي يُبادِر بالتّنفيذِ فَوْرًا دُونَ أيّ تَرَدّدٍ.

تَفسيرُنا لهذا التّحدّي السعوديّ القَويّ لترامب رُبّما يعود إلى عِدّة أُمور يُمكِن أن نُلخّصها في النّقاط التّالِية:

ـ أوّلا: أن يكون الأمير محمد بن سلمان قد تَوصّل إلى قناعةٍ راسِخَةٍ بأنّ الرئيس ترامب قد يَرضَخ لضُغوطِ الكونغرس وصُقور مجلس الشيوخ مِثل ليندسي غراهام وبوب ووكر وغيرهم، ويَرفَع الحِماية عنه، ويَفْرِض عُقوبات على السعوديّة على أرضيّة جريمة اغتيال خاشقجي، فقَرّر القِيام بهُجومٍ مُضادّ؟

ـ ثانِيًا: أن يكون جَرى التّوصّل إلى "صَفقَةٍ ما" أثناء اجتِماع الأمير بن سلمان مع الرئيس الروسيّ فلاديمير بوتين، أبرز عناوينها تقديم بوتين الحِماية والدّعم للأوّل في مُواجَهة أيّ ضُغوط أمريكيّة مُسْتَقبَلِيّة بسَببِ الجَريمة نَفسِها.

ثالثًا: بعد إعلان دولة قطر انسِحابها مِن منظمة "أوبِك" أدرَكت السعوديّة أنّ المنظمة التي تُعتَبر العُنصَر القِياديّ المُهِمّين فيها (أوبِك) ستنهار بالكامِل إذا رَضَخَتْ للضّغوط الأمريكيّة، وخفّضَت الإنتاج، وستَجِد نفسها وَحيدةً ومَعزولةً، ولذلِك قرّرت إعطاء أولويّة لتَماسُك "الأوبِك" والحِفاظ على مكانَتها، لأنّ البَديل هُو الفَوضى في الأسواق، وانخِفاض الأسعار إلى أقل مِن ثلاثين دُولارًا الأمر الذي سيُخَفّض العائِدات، وخَلقِ حالةٍ مِن الغَضب الشّعبيّ يُهَدّد استقرار المملكة والأُسْرةَ الحاكِمَة.

***

ما يَجعَلنا لا نَستبعِد، أو نَستغرِب، هذا الهُجوم السعوديّ المُضاد بالاعتِماد على روسيا ورئيسها بوتين، أنّ الأمير بن سلمان أوْعَزَ إلى أحد الكُتّاب السّعوديّين المُقَرّبين مِنه إلى نَشرِ مَقالٍ يُهَدّد بلُجوءِ السعوديّة إلى موسكو، وإقامَة قاعِدةً لها في تبوك شمال غرب المملكة، واستِبدال الأسلحة الروسيّة بنَظيرَتها الأمريكيّة في حالِ فَرضِ الرئيس ترامب عُقوباتٍ على

السعوديّة بسَبب قضيّة اغتيال خاشقجي.

السّؤال الذي يَطرَح نفسه بقُوّةٍ عمّا إذا كانت السعوديّة وحاكِمها الفِعليّ الأمير بن سلمان تستطيع تَحَمّل النّتائِج التي يُمكِن أن تترتّب على هَذهِ الخُطوة، أيّ الاسْتِقواء بروسيا في مُواجَهة أمريكا، ونَقل البُندقيّة السعوديّة مِن الكَتِف الأمريكيّ إلى الكَتِفْ الروسيّ؟

إنّها مُقامرةٌ كَبيرةٌ إذا ما جَرى الإقدامُ عَليها مِن قِبَل الأمير بن سلمان، فإنْهاءُ عَلاقة تحالفيّة استراتيجيّة امتَدت حواليّ 80 عامًا مع أمريكا هُوَ بمَثابَة "إعلان حرب"، ولذلِك تُخامِرنا الكَثير مِن الشّكوك في هذا المِضْمار.

في جَميع الأحوال، تغريدة ترامب القادِمَة، التي ستَتناول هَذهِ المَسألة ستُجيب عَن الكَثير مِن الأسئلة والتّكَهّنات، ولا نَعتقِد أننا سننتَظِرها طَويلًا، فهذا الرّجُل لا يُطِيق صَبْرًا، ولا نَستبعِد أن نَطّلِع عليها مَع نِهايَة عُطْلَة هذا الأُسبوع، أو حتّى قَبْلَها، وحيْنَها لكُلّ حادِثٍ حَديث.